أنوار التنزيل وأسرار التأويل

للقاضي الإمام العلامة
ناصر الدين أبي سعيد عبد الله بن عمر
البيضاوي

المجلّد الأوّل

جزء ٢ الشاهدة على انّه الحقّ فَاعْلَمُوا أَنَّ ٱللَّهَ عَزِيزٌ لا يُعجزه الانتقام حَكِيمٌ لا ينتقم الّا بحقّ (٢٠٦) هَلْ يَنْظُرُونَ
ركوع ٩ استفهام فى معنى النفى ولذلك جاء بعده إِلَّا أَنْ يَأْتِيَهُمُ ٱللَّهُ اى يأتيهم امره او بأسه كقوله تعالى او يأتى
امرُ ربّك فجاءها بأسُنا او يأتيهم اللّه ببأسه فحذف المأتىّ به للدلالة عليه بقوله انّ اللّه عزيز حكيم
فِى ظُلَلٍ جمع ظُلّة كقُلّة وقُلَل وهى ما اظلّك وقرئ ظِلَالٍ كقلال مِنَ ٱلْغَمَامِ السحاب الابيض وانّما يأتيهم
العذاب فيه لانّه مَظِنّة الرحمة فاذا جاء منه العذاب كان افظع لانّ الشرّ اذا جاء من حيث لا يُحتسب
كان اصعب فكيف اذا جاء من حيث يحتسب الخير وَٱلْمَلَائِكَةُ فانّهم الواسطة فى اتيان امره او الآتون
على الحقيقة ببأسه وقرئ بالجرّ عطفا على ظلل او الغمام وَقُضِيَ ٱلْأَمْرُ أُتِمّ امرُ اهلاكهم وفُرِغ منه وضع
الماضى موضع المستقبل لدنوّه وتيقّن وقوعه وقرئ وَقَضَاءُ ٱلْأَمْرِ عطفا على الملائكة وَإِلَى ٱللَّهِ تُرْجَعُ ٱلْأُمُورُ
قراءة ابى كثير ونافع وابى عمرو وعاصم على انّه من الرَّجْع وقرأ الباقون على البناء للفاعل بالتأنيث
ركوع ١٠ غير يعقوب على انّه من الرُّجُوع وقرئ ايضا بالتذكير وبناء المفعول (٢٠٧) سَلْ بَنِي إِسْرَائِيلَ امر للرسول
عم او لكلّ احد والمراد بهذا السؤال تقريعهم كَمْ آتَيْنَاهُمْ مِنْ آيَةٍ بَيِّنَةٍ معجزة ظاهرة او آية فى الكتب
شاهدة على الحقّ والصواب على ايدى الانبياء ، وكَمْ خبريّة او استفهاميّة مقرِّرة ومحلّها النصب على
المفعوليّة او الرفع بالابتداء على حذف العائد من الخبر وآية مميّزها ومِنْ للفصل وَمَنْ يُبَدِّلْ نِعْمَةَ ٱللَّهِ
اى آياته فانّها سبب الهدى الّذى هو اجلّ النعم بجعلها سبب الضلالة وازدياد الرجس او بالتحريف
والتأويل الزائغ مِنْ بَعْدِ مَا جَاءَتْهُ من بعد ما وصلت اليه وتمكّن من معرفتها وفيه تعريض بانّهم
بدّلوها من بعد ما عقلوها ولذلك قيل تقديره فبدّلوها ومن يبدّل فَإِنَّ ٱللَّهَ شَدِيدُ ٱلْعِقَابِ فيعاقبه اشدّ
عقوبة لانّه ارتكب اشدّ جريمة (٢٠٨) زُيِّنَ لِلَّذِينَ كَفَرُوا ٱلْحَيَوٰةُ ٱلدُّنْيَا حُسّنت فى اعينهم وأُشْرِبت محبّتها
فى قلوبهم حتّى تهالكوا عليها واعرضوا عن غيرها والمزيّن فى الحقيقة هو اللّه اذ ما من شىء الّا وهو فاعله
ويدلّ عليه قراءةُ زَيَّنَ على البناء للفاعل وكلٌّ من الشيطان والقوّة الحيوانيّة وما خلق اللّه فيها من
الامور البهيّة والاشياء الشهيّة مزيّنٌ بالعَرَض وَيَسْخَرُونَ مِنَ ٱلَّذِينَ آمَنُوا يريد فقراء المؤمنين كبلال وعمّار
وصُهَيْب اى يسترذلونهم ويستهزءون بهم على رفضهم الدنيا واقبالهم على العقبى ، ومِنْ للابتداء كانّهم
جعلوا السخريّة مبتدأة منهم وَٱلَّذِينَ ٱتَّقَوْا فَوْقَهُمْ يَوْمَ ٱلْقِيٰمَةِ لانّهم فى علّيّين وهم فى اسفل السافلين او
لانّهم فى كرامة وهم فى مذلّة او لانّهم يتطاولون عليهم فيسخرون منهم كما سخروا منهم فى الدنيا ،
وانّما قال والّذين اتّقوا بعد قوله من الّذين آمنوا ليدلّ على انّهم متّقون وانّ استعلاءهم للتقوى
وَٱللَّهُ يَرْزُقُ مَنْ يَشَاءُ فى الدارين بِغَيْرِ حِسَابٍ بغير تقدير فيوسّع فى الدنيا استدراجا تارةً وابتلاءً اخرى
(٢٠٩) كَانَ ٱلنَّاسُ أُمَّةً وَاحِدَةً متّفقين على الحقّ فيما بين آدم وادريس او نوح او بعد الطوفان او متّفقين
على الجهالة والكفر فى فترة ادريس او نوح فَبَعَثَ ٱللَّهُ ٱلنَّبِيِّينَ مُبَشِّرِينَ وَمُنْذِرِينَ اى فاختلفوا فبعث اللّه

وانّما حُذف لدلالة قوله فيما اختلفوا فيه ، وعن كعب الّذى علمتُه من عدد الانبياء مائة واربعة جزء ٢
وعشرون الفا والمرسل منهم ثلثمائة وثلاثة عشر والمذكور فى القران باسم العَلَم ثمانية وعشرون ركوع ١٠
وَأَنْزَلَ مَعَهُمُ ٱلْكِتَابَ يريد به الجنس ولا يريد به انّه انزل مع كلّ واحد كتابا يخصّه فانّ اكثرهم لم يكن
لهم كتاب يخصّهم وانّما كانوا يأخذون بكُتب من قَبْلهم بِٱلْحَقِّ حال من الكتاب اى ملتبسا بالحقّ
شاهدا به لِيَحْكُمَ بَيْنَ ٱلنَّاسِ اى اللّه او النبىّ المبعوث او كتابه فِيمَا ٱخْتَلَفُوا فِيهِ فى الحقّ الّذى اختلفوا
فيه او فيما التبس عليهم وَمَا ٱخْتَلَفَ فِيهِ فى الحقّ او الكتاب إِلَّا ٱلَّذِينَ أُوتُوهُ اى الكتاب المنزل لازالة
الخلاف اى عكسوا الامر فجعلوا ما انزل مزيحا للاختلاف سببا لاستحكامه مِنْ بَعْدِ مَا جَآءَتْهُمُ ٱلْبَيِّنَاتُ
بَغْيًا بَيْنَهُمْ حسدا بينهم وظلما لحرصهم على الدنيا فَهَدَى ٱللَّهُ ٱلَّذِينَ آمَنُوا لِمَا ٱخْتَلَفُوا فِيهِ اى للحقّ
الّذى اختلف فيه من اختلف مِنَ ٱلْحَقِّ بيان لما اختلفوا فيه بِإِذْنِهِ بأمره او بارادته ولطفه وَٱللَّهُ
يَهْدِى مَنْ يَشَآءُ إِلَى صِرَاطٍ مُسْتَقِيمٍ لا يضلّ سالكه (٢١٠) أَمْ حَسِبْتُمْ أَنْ تَدْخُلُوا ٱلْجَنَّةَ خاطب به النبىّ
صلعم والمؤمنين بعد ما ذكر اختلاف الامم على الانبياء بعد مجىء الآيات تشجيعا لهم على الثبات
مع مخالفتهم ، وأَمْ منقطعة ومعنى الهمزة فيها الانكار وَلَمَّا يَأْتِكُمْ ولم يأتكم وأصل لَمَّا لَمْ زيدت عليها مَا
وفيها توقّع ولذلك جعل مُقابل قَدْ مَثَلُ ٱلَّذِينَ خَلَوْا مِنْ قَبْلِكُمْ حالهم الّتى هى مَثَلٌ فى الشدّة
مَسَّتْهُمُ ٱلْبَأْسَآءُ وَٱلضَّرَّآءُ بيان له على الاستيناف وَزُلْزِلُوا وأُزعجوا ازعاجا شديدا بما اصابهم من الشدائد
حَتَّى يَقُولَ ٱلرَّسُولُ وَٱلَّذِينَ آمَنُوا مَعَهُ لتناهى الشدّة واستطالة المدّة بحيث تقطّعت حبال الصبر ، وقرأ
نافع يقولُ بالرفع على انّه حكاية حال ماضية كقولك مرض حتّى لا يرجونه مَتَى نَصْرُ ٱللَّهِ استبطاء له
لتأخّره أَلَا إِنَّ نَصْرَ ٱللَّهِ قَرِيبٌ استيناف على ارادة القول اى فقيل لهم ذلك اسعافا لهم الى طِلْبتهم من عاجل
النصر وفيه اشارة الى انّ الوصول الى اللّه تعالى والفوز بالكرامة عنده برفض الهوى واللذّات ومكابدة
الشدائد والرياضات قال عم حُفّت الجنّة بالمكاره وحُفّت النار بالشهوات (٢١١) يَسْأَلُونَكَ مَاذَا يُنْفِقُونَ
عن ابن عبّاس انّ عمرو بن الجموح الانصارىّ كان هِمّا ذا مال عظيم فقال يا رسول اللّه ما ذا ننفق من
اموالنا واين نضعها فنزلت قُلْ مَا أَنْفَقْتُمْ مِنْ خَيْرٍ فَلِلْوَالِدَيْنِ وَٱلْأَقْرَبِينَ وَٱلْيَتَامَى وَٱلْمَسَاكِينِ وَٱبْنِ ٱلسَّبِيلِ
سُئل عن المنفق فأُجيب ببيان المَصْرِف لانّه اهمّ فانّ اعتداد النفقة باعتباره ولانّه كان فى سؤال عمرو
وان لم يكن مذكورا فى الآية واقتصر فى بيان المنفق على ما تضمّنه قوله ما انفقتم من خير
وَمَا تَفْعَلُوا مِنْ خَيْرٍ فى معنى الشرط فَإِنَّ ٱللَّهَ بِهِ عَلِيمٌ جوابه اى ان تفعلوا خيرا فانّ اللّه يعلم كنهه
ويوفى ثوابه ، وليس فى الآية ما ينافيه فرض الزكوة لِيُنْسَخَ به (٢١٢) كُتِبَ عَلَيْكُمُ ٱلْقِتَالُ وَهُوَ كُرْهٌ لَكُمْ
شاقّ عليكم مكروه طبعا وهو مصدر نُعت به للمبالغة او فُعْل بمعنى مفعول كالخُبْز وقرئ بالفتح على